عبدالواحد حسن العمدي

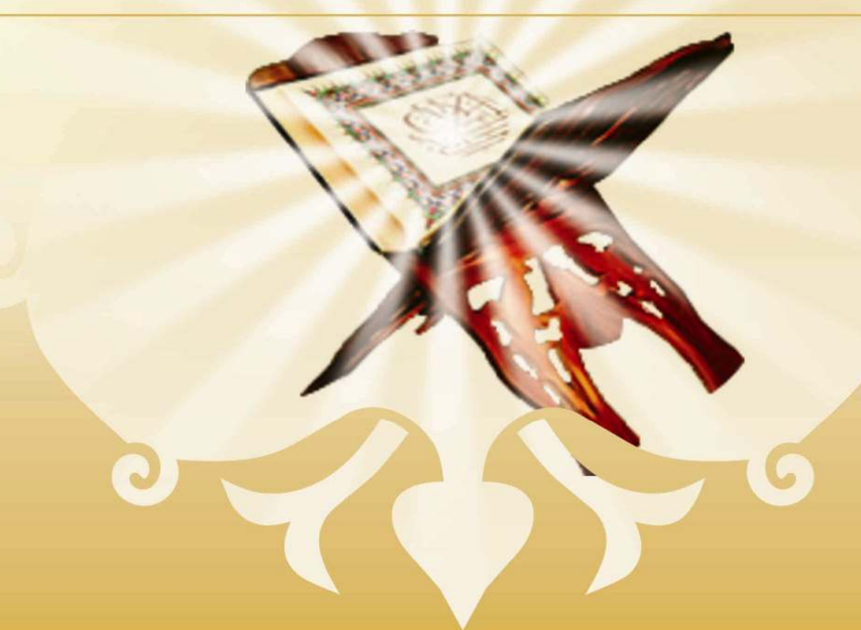
حليف القرآن

الإمام زيد بن علي

عليه السلام

وَإنْ تَبَاهَى أَهْلُ كُلِّ دِيْنٍ بِشُهَدَائِهِمْ فَإِنَّهُ يَحِقُّ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَنْ يَتَبَاهَوْا عَلَى الأُمَمِ بِشُهَدَاءِ الْزَّيْدِيَّةِ.

د. أحمد محمود صبحي



حليف القرآن

الإمام

زيد بن علي

عليه السلام

٧٥ - ١٢٢هـ

عبدالواحد حسن العمدي

١٤٣٢هـ ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال اللهّ تعالى:

﴿وَفَضَّلَ اللهّ الْمُجَاهِدِيْنَ عَلَى القَاعِدِيْنَ أَجْراً عَظِيْماً﴾(النساء:٩٥)

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهّ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)

﴿إِنَّ اللهّ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهّ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِيْ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهّ فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْمُ﴾ (التوبة:١١١).

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين.

ليس من السهل الحديث عن شخصية بحجم شخصية الإمام زيد بن علي عليه السلام، إذ أنه في مثل هذه الشخصية العظيمة يتجدد تاريخ الجهاد، وتتجسد أصالة الشهادة، ويتجلى معنى العطاء والتضحية، لتبرز حقائق الإيمان المطلق بالعبودية الخالصة لله تعالى، والحرية الكاملة للإنسان، والعدالة والمساواة بين أفراد وجماعات الأمة، كل هذه القيم والمُثل والمعطيات والمعاني تجسدت في روح وعقل وفكر الإمام زيد بن علي عليه السلام، وكل مفردة منها تحتاج إلى وقفات طوال، ليس من السهل علينا أن نقدمها هنا، يقول العلامة جعفر مرتضى العاملي: فشخصية زيد بن علي السجاد ليس لها حدود يمكن أن يفصلها عما يحيط بها، وإنما هي انطلاقة النور الغامر، ووجيب حركة الكون العامر، تغمر الكون بالعطاء، وتمده بالهدى، وتفيض عليه الوجود. ذلك النور، الذي يستغرق كل شيء، ويُستغرق فيه كل شيء، وينيره، ويتفاعل معه في حيوية وبهاء، وفي جنان وصفاء.[1]

ويقول أيضاً: إن شخصية زيد بن علي، الذي هو قبس من جده الحسين، ومشكاة من والده السجاد، لابد أن تُدرس على أساس أنها ومضة النور

(١) العلامة جعفر مرتضى العاملي، من تقديمه لكتاب الإمام زيد بن علي ومشروعية الثورة، لمؤلفه الشيخ نوري حاتم، بيروت مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص: ٨.

الإلهي الدافق، الذي تشرق به حنايا الوجود لتثير منه كوامنه، ويختزن في داخله النموذج الحي للتجربة الواقعية للإسلام الصافي، بكل مفاهيمه، وتعاليمه، وأهدافه ومراميه.[١]

فسلام الله تعالى عليك يا إمام الهدى، وفاتح باب الجهاد والتضحية والفداء.

نسبه الشريف:

هو الإمام الثائر، والمجاهد الصابر فاتح باب الجهاد والاجتهاد، ونورٌ منبعث من نور، الغاضب لله في الأرض، ومقيم أحكام السنة والفرض، أبو الحسين زيد بن علي سيد العابدين بن الحسين السبط، وهو أخو باقر علم الأنبياء، وهو مجدد المائة الأولى. مولده عليه السلام سنة ٧٥ للهجرة على أصح الأقوال.

المولد والنشأة:

آثر العديد من الوجهاء والعلماء الصمت نجاة بأنفسهم من بطش الحاكمين، وما من شيء كان يزعج الحكام مثل حنين الناس إلى عصر النبوة، وزمن الخلافة الراشدة، وحب المسلمين الصادق لآل بيت

---

(١) جعفر مرتضى العاملي المصدر سابق، ص: ٨.

رسول الله ﷺ وندم الذين تخلوا عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام كانوا يخافون كل شيء حتى الندم..!

في هذا الجو المضطرب الذي يمزقه التناقض بين ما يحبه الإنسان وما يكره.. بين ما يسر ويعلن، ولد الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ولد في المدينة، وما زال رجع الأنين على الحسين شهيد كربلاء يملأ الآذان، وما زالت الفجيعة تغص الحلوق وتحرق الأكباد.

ولد وما زالت دماء كربلاء تغشى عيون صُناع الفجيعة والمفجوعين على السواء، وما زالت ذكريات نكبة آل البيت في كربلاء تفري صدور قوم مؤمنين!

في ظل كل تلك الأجواء المشحونة بالألم والخوف والمعاناة قرعت البشرى سمع زين العابدين عليه السلام، فقام وصلى ركعتين شكراً لله، ثم أخذ المصحف مستفتحاً لاختيار اسم مولوده، فخرج في أول السطر قول الله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِيْنَ عَلَى الْقَاعِدِيْنَ أَجْراً عَظِيْماً﴾(النساء:٩٥)، فأطبق المصحف، ثم قام وصلى ركعات، ثم فتح المصحف، فخرج في أول السطر: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) ثم قام وركع، ثم أخذ المصحف وفتحه فخرج في أول سطر: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِيْ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ

وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِّ فَاسْتَبْشِـرُوْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْمُ﴾(التوبة:١١١).

فأطبق زين العابدين عليه السلام المصحف، وقال:«إنا لله وإنا إليـه راجعـون، عُزِّيت في هذا المولود، إنه: (زيد)... أما واللـه ما أجد من ولـد الحسـين في يوم القيامة أعظم منه وسيلة، ولا أصحاباً آثر عند اللهّ من أصحابه»[1].

وذهب الإمام زين العابدين عليه السلام ليلقي أول نظرة على وليـده المبـارك، الذي سبق العزاءُ بموته الفرحةَ بمولـده، وأجـرى عليـه مراسـيم الـولادة، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنـه اليســرى، وعَـوَّذه باللـــه مـن الشـــيطان الرجيم.

وفي مرابع الفضيلة، وأكناف النبوة ترعرع الإمام وتربّى. تكتنفـه رعايـة الله من كل جانب، وتضـمخه سـلوكيات البيـت النبـوي أروع الصـفات، وتقلّده أعظم السجايا، ومضـى ينمـو لتنمـو معـه كـل فضـيلة، وأســرته الهاشمية الكريمة ترقب هذا النمو، وتغدق عليه في كل مرحلـة مـا يناسـبها من التثقيف والتوجيه والتعليم، حتى تبلورت شخصيته بتميز، وأصـبحت مستقراً لموروث البيت النبوي الشـريف، وعـلى رأس المـورثين جميعـاً الأب الأعظم، والمعلم الرائد، صفي الله ومصطفاه محمد بـن عبـد الله صلى الله عليه وآله وسلم وهنـا تبـدت عـلى محيـاه ملامـح لا تشـع إلا نـوراً، وعظمـة، ومهابـة، وشـهامة وشجاعة، وسماحة وتواضعاً، ونبلاً وسخاء، وورعاً وزهداً، وحلماً وعلـماً،

(١) رواه الشهيد حميد المحلي في الحدائق الوردية١/ ٢٤٢، وأبو طالب في الأمالي١٥٦، وأمالي الصدوق ٢٩٩.

وتضحية وفداءً، وقد تلاقحت فيه هذه الصفات الحميدة، نتيجة لأجواء النشأة المباركة، بالإضافة إلى مبادراته الذاتية التي عرفت عنه، كالتصاقه الحميم بكتاب الله الذي ما برح عليه عاكفاً يتدبّر آياته، وينهل من خيراته، حتى عرف بحليف القرآن، وكعشقه للعلم منذ نعومة أظفاره، هذا العشق الذي ظل يلازمه طوال حياته، حتى بوأه أرقى مدارج الكمال في مختلف الميادين.[1]

العبادة والخشية

كانت عبادة الإمام زيد عليه السلام من أسمى أنواع العبادات، فقد عَرَفَ اللهّ معرفة استوعبت دخائل نفسه، وسيطرت على عقله وقلبه، فكان إذا ذكر اللهّ أو سمع شيئاً من ذكر اللهّ أغمي عليه حتى يقول القائل: ما هو بعائد إلى الدنيا، وكان إذا سمع آيات الترغيب والترهيب مَادَ كما تميد الشجرة من الريح في اليوم العاصف فقال أخوه عبد اللهّ بن علي: «كان أخي زيد إذا قرأ القرآن بكى حتى نظنه سيموت».

وقال الإمام يحيى بن زيد عليه السلام: «رحم الله أبي كان أحد المتعبدين، قائم ليله، صائم نهاره، كان يصلي في نهاره ما شاء الله، فإذا جن الليل عليه نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى، ويتضرع له، ويبكي بدموع جارية حتى

---

(١) عبدالله حمود العزي مقدمة التحقيق لكتاب المجموع الحديثي والفقهي للإمام زيد بن علي، ص: ٤٠.

يطلع الفجر، ثم يجلس للتعقيب حتى يرتفع النهار، ثم يذهب لقضاء حوائجه، فإذا كان قريب الزوال أتى وجلس في مصلاه، واشتغل بالتسبيح والتحميد للرب المجيد، فإذا صار الزوال صلى الظهر وجلس، ثم يصلي العصر، ثم يشتغل بالتعقيب ساعة، ثم يسجد سجدة، فإذا غربت الشمس صلى المغرب والعشاء».[١]

الشجاعة والإقدام:

الشجاعة حالة من الاستعداد النفسي لمواجهة المخاطر التي تحول دون تحقيق الهدف المنشود، وكلما كان الهدف نبيلاً وكان الإيمان به عميقاً فإن الاستعداد النفسي ينمو حتى لا يكاد الإنسان يشعر بالأخطار، وعلى هذا الأساس قامت شجاعة الإمام زيد بن علي عليه السلام. قال أبو معمر سعيد بن خثيم: «كنا في دار شبيب بن غرقد فسمعنا وقع حوافر خيل فما منا من أحد إلا أرعب وارتعد وظننا أنه يوسف بن عمر، ووالله ما رأيت رجلاً أربط جأشاً ولا أشد نفساً من زيد بن علي، ووالله ما قطع حديثه ولا تغير وجهه ولا حل حَبْوَته. فلما مضت الخيل وجرينا نُفَـرِّج عما كنا فيه، أقبل علينا بوجهه وقال: يُرعب أحدكم الشيء يخاف أن يحل به، والله ما خرجت لغرض الدنيا ولا لجمع مال ولكن خرجت ابتغاء وجه الله والتقرب إليه، فمن كان الله هِمَّتَه ومن الله طلبته، فما يروعه شيء إذا نزل به».

(١) محمد عزان، الإمام زيد شعلة في ليل الاستبداد، ص:٢٠-٢١، أمالي المرشد بالله الإثنينية (خ) الخطط للمقريزي ٢/ ٤٣٧.

وبفضل ذلك الاستعداد النفسي وقف متحدياً للطواغيت وولاتهم، وصرخ بكلمة الحق في وجوههم، ونازلهم بسلاح الحجة قبل أن يجالدهم بحد السيف، حتى مزج كلماته بدمه، فجعل من ذلك وقوداً لمشاعل الحرية التي تبدد ليل الاستبداد، وتضيء في الآفاق لسائر حركات التحرر في كل بقاع العالم.[1]

الزهد في الدنيا:

عَرَف الإمام زيد عليه السلام حقيقة الدنيا وما يعتريها من تَغَيُّر واضطراب، وعرف أنها غير مضمونة البقاء؛ فتعامل معها وِفْق تلك الرؤية حين عاش فيها زاهداً، يدعو ربه قائلا: «اللَهُمَّ إني أسألك سُلُوّاً عن الدنيا، وبغضاً لها ولأهلها، فإنَّ خَيْرَها زَهِيْدٌ، وشرها عتيدٌ، وجَمْعَها يَنْفَدُ، وصَفْوَها يَرْنَقُ، وجديدَها يَخْلَقُ، وخيرَها يَنْكَدُ، وما فات منها حَسرةٌ، وما أُصِيْبَ منها فِتْنَةٌ، إلا من نالته منك عِصْمَةٌ، أسألك اللَهُمَّ العِصْمَةَ منها، ولا تجعلنا ممن رضي بها، واطمأن إليها، فإنها مَنْ أمنها خانَتْهُ، ومن اطمأن إليها فَجَعَتْهُ، فلم يُقِمْ في الذي كان فيه منها، ولم يَظْعَنْ به عنها».

وعرفها حين عاش فيها ورعاً عن المحارم متنزهاً عن المعاصي، حتى قال: «والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت لله مُحَرَّماً منذ عرفت أن الله يعاقب عليه» وقال لأحد أصحابه: «يا أبا قرة،

---

(١) محمد عزان، الإمام زيد مصدر سابق: ٢١-٢٢.

والذي يعلم ما تحت وريد زيد بن علي أن زيد بن علي لم ينتهك لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله، يا أبا قرة من أطاع اللهّ أطاعه ما خلق»[1].

علمه ومعرفته:

لقد شق الإمام زيد عليه السلام طريقه في ميدان العلم والمعرفة بعزيمة ما عرفت الوهن، وبإرادة ما انثنت لصعب أو مستحيل، ولهذا أصبح بحق فارس هذا الميدان، لا يجارى ولا يبارى، ولا يشق له غبار، كيف لا وقد انتهت إليه معارف آباءه وأجداده، وأصبح يعلم ما لا يعلم غيره، بشهادة أخيه الأكبر محمد، وهو الباقر لعلوم آل البيت حيث يقول: «لقد أوتي زيد علماً لدنياً، فاسألوه فإنه يعلم ما لا نعلم».

وقال أيضاً لمن سأله عنه: «سألتني عن رجل ملئ إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدميه، وهو سيد أهل بيته».

نعم لقد صاغ بهمته العالية إبداعه وتميزه في شتى فنون العلم، فبرع في الفقه، والتفسير، والحديث، وكان له القدح المعلى في كل ذلك، كما عرف مناظراً فطحلاً، لا تُنقض له حجة، ولا يصمد أمامه محاجج، قال عنه أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه: «ما رأيت في زمنه أفقه منه، ولا أعلم، ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين» وشهد له المحدث الكبير

---

(١) عزان الإمام زيد، مصدر سابق: ٢٤-٢٥.

سليمان بن مهران الأعمش بقوله: «ما رأيت فيهم يعني أهل البيت أفضل منه، ولا أفصح، ولا أعلم».

أما سلمة بن كهيل فكان يقول:«ما رأيت أنطق لكتاب الله من الإمام أبي الحسين» وقد قال عنه ابن أخيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام:«كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا لدين الله» وقال سفيان الثوري:«قام مقام الحسين بن علي، وكان أعلم خلق الله بكتاب الله، والله ما ولدت النساء مثله».

وما هذه المقولات إلا قيضاً من فيض ما قيل فيه، فقد أثار إعجاب العلماء والعظماء سواء من عاصره ومن لم يعاصره، وقائمة الاعتراف بسبقه، وعلمه، وفضله، ما تزال مفتوحة تستقبل تواقيع المبدعين.[١]

وكان أبرز من أخذ عنهم العلم هو أبوه زين العابدين، وأخوه الأكبر محمد الباقر، والصحابي الجليل عامر بن واثلة، المعروف بأبي الطفيل، وعبيد بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وجابر بن عبدالله الأنصاري، ومحمد بن أسامة بن زيد، وغيرهم.

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي: هذا وقد كان فقه الإمام زيد مستنداً إلى ما وصل إليه من حديث وإلى ما كان يستنبطه هو باجتهاده، فكان أول منهج فقهي مستند إلى النقل والعقل أو إلى الحديث والرأي.

---

(١) عبدالله العزي مقدمة المسند مصدر سابق: ٤٠-٤١.

ويواصل الدكتور صبحي: وهكذا لم تكن منزلة الإمام زيد لانتسابه إلى آل البيت فحسب أو لخروجه على الحكام الظالمين ثم استشهاده فقط وإنما اشتهر كذلك بعلمه، فقد كان من أعلم أهل زمانه، وقد انتشر هذا العلم بفضل تلاميذه، وقد ذكر شرف الدين الحسين بن أحمد الصنعاني (ت ١٢٢١هـ) أحد شراح المجموع طائفة من تلاميذه منهم أولاده: عيسى ومحمد وحسين ويحيى، وعن عيسى بن زيد أخذ سفيان الثوري كما أخذ عنه الزيود المقيمون بالعراق، وعن محمد بن زيد انتشر علم الإمام زيد بين زيدية العجم، بل انتشر علمه في خراسان والمدينة والمغرب واليمن بفضل تلاميذه منهم منصور بن المعتمد (ت ١٤٣هـ) أحد دعاته، وقد احتج به البخاري ومسلم وأخذ عنه النسائي، وهارون بن سعد العجلي من شيوخ مسلم، ومعاوية بن إسحاق ونصر بن خزيمة، ومعمر بن خيثم الهلالي ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى وزيد بن الربيع والإمام أبو حنيفة وسلمة بن كهيل وسليمان بن مروان والأعمش وأسماء أخرى كثيرة بعضهم تقل معه في الجهاد وبعضهم انتقل بعد المعركة لنقل مذهبه في مختلف بلدان الإسلام.

هذا هو الإمام زيد خير أهل زمانه، إذ جمع شرف العلم والجهاد والاستشهاد والانتساب إلى رسول الله، وما جمع أحد في زمانه هذه المزايا جميعاً، لقد كان بحق أعلاهم فضلاً وأسماهم شرفاً.[١]

الثورة الثقافية والفكرية:

جاهد الإمام زيد بن علي عليه السلام في ميادين عدة، ولم يترك باباً من أبواب الجهاد إلا وكان السبَّاق إلي دخوله والخوض في غماره، وكان ميدان تصحيح المفاهيم والأفكار وتقويم العقل والمنهج من أهم الأهداف والغايات التي تفانى الإمام زيد عليه السلام من أجلها، ولأنه كان يتمتع ببصيرة نافذة وبعد نظر عميق" أدرك خطورة المؤامرة على الثقافة الإسلامية والفكر الأصيل، فتصدى لها بكل بسالة وحماس، حيث اتصل بالعلماء المصلحين وهيأهم لمواجهة هذه الأخطار، وعمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى الجماهير، وقاد ثورة ثقا فيه واسعة النطاق، فخطب، وكتب، وشعر، وناظر، ولم يترك سبيلا للإصلاح إلا سلكه.[٢]

وكان من أبرز نتائج تلك الحملة الفكرية رسالته الطويلة إلى علماء الأمة حيث وجه رسالة إلى علماء الأمة ضمنها دعوته، وأوضح فيها «أنما تصلح

---

(١) د. أحمد محمود صبحي، الزيدية، بيروت : دار النهضة العربية ،الطبعة الثالثة ١٤١١/ ١٩٩١، ص٦٧، ومصدره: محمد أبو زهرة، الإمام زيد، ص: ٢٢٩.

(٢) عزان، الإمام زيد، مصدر سابق، ص: ٤٩-٥٠.

الأمور على أيدي العلماء، وتفسد بهم إذا باعوا أمر اللّه تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين».[(١)]

ودعاهم إلى القيام بمسؤوليتهم كرموز مُهابة وقيادة متبعة، وما يمليه عليهم العلم الذي يحملونه، وخاطبهم قائلاً: «أنتم أيها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة اللّه منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم في أعين الناس مهابة، وفي المدائن والأسواق مَكرُمة؛ يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه، يُبدأ بكم عند الدُعْوة والتحفة، ويشار إليكم في المجالس، وتشفعون في الحاجات إذا امتنعت على الطالبين، وآثاركم متبعة، وطرقكم تُسلك. كل ذلك لما يرجوه عندكم مَنْ هو دونكم من النجاة في عرفان حق اللّه تعالى».[(٢)]

يقول الشرقاوي: وبقدر ما كانت الأمة تحتقر صُناع الزيف هؤلاء، كانت تكبر الفقهاء والعلماء الشرفاء والمفكرين الأحرار من أمثال واصل بن عطاء، وأبي حنيفة النعمان، وزيد بن علي وابن أخيه جعفر بن محمد الذي عرف بجعفر الصادق، وكان الخليفة هشام بن عبدالملك بن مروان وعماله على الأمصار يتربصون بهؤلاء جميعاً، فأما جعفر الصادق وأبو حنيفة وواصل بن عطاء فقد ابتعدوا عن السياسة، وإن لم يسلموا من أذى هشام وعماله، ولكن الإمام زيد بن علي عليه السلام سلك طريقاً آخر.. وكان يعرف أن

---

(١) انظر: رسالته إلى علماء الأمة ضمن مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي.

(٢) المصدر السابق.

هشام بن عبدالملك يتربص به كما يتربص بالآخرين، ويضيق بآرائه في الفقه، وبدعوته إلى إعمال العقل وتحرير الفكر، وحماية إرادة الإنسان، كما يضيق بدعوة الآخرين، وعلى الرغم من كل ذلك فقد خرج الإمام زيد ليجعل من الفكر حركة.. ومن الثقافة عملاً.[١]

الإمام زيد والإعداد للثورة:

في المدينة المنورة بدأ الإمام زيد عليه السلام تأسيس حركت شاملة، تَلُفُّها السرية والكتمان، وكان نموها بطيئاً؛ لأن الناس هنالك كانوا يتخوفون من مواجهة الحاكم المستبد الباطش، لاسيما وأن جراحات المدينة مازالت تنزف، ومازالت الحملة الوحشية التي جهزها الأمويون على المدينة بقيادة مسلم بن عقبة في مُخَيِّلة أبناء المدينة، ومازال مشهد أهل الحسين بعد رجعتهم من كربلاء ـ وقد فقدوا معظم أحبتهم ـ ماثلاً أمام أعينهم.

ولما رأى الإمام زيد عليه السلام أن الأمور تسير في المدينة ببطء جعل من الحج ذريعة لخروجه إلى مكة، وهنالك التقى بشخصيات كثيرة من بلدان مختلفة، فوجد لديهم من الحماس للعدل، والشوق للحرية ما شجعه على مواصلة الرحلة إلى بلدان أخرى.

ولما بلغ الكوفة وجد مجتمعا آخر يختلف عن مجتمع المدينة؛ فالنفوس تغلي بالسَّخط، والجماهير تتكلم عن جور الأمويين في وضح النهار، فحداه

---

(١) عبدالرحمن الشرقاوي، أئمة الفقه التسعة، ص: ٢٢.

أمل في إمكانية قيام حركة تُصَحِح مسار الأمة؛ رغم معرفته بماضي القوم مع جده الحسين، ورغم نصائح أهله له بالحذر من خديعتهم، لكنه كان يشعر أن صارخاً يصرخ في أعماقه، ومنادياً يدعوه إلى صنع شيء من أجل هذه الشعوب المغلوبة على أمرها «والله لوددت أن يدي ملصقة بالثريا ثم أقع منها حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة ويصلح الله بذلك أمر أمة محمد».[1]

ورجع الإمام زيد إلى المدينة وهو يفكر في خلاص هذه الأمة مما هي فيه من الاضطهاد والهوان، ولكن هشام بن عبدالملك في تلك الفترة كان يتابع أخبار الإمام زيد وقد نقل إليه بعض أخبار تحركاته، وتحريضه للناس على دفع الظلم وعدم السكوت، وكتب إليه والي المدينة:«إن زيداً قد أفسد عليك المدينة» فقرر هشام بعد طول تفكير وحيرة استقدام الإمام زيد إلى الشام ليكون تحت سمعه وبصره، وحين بلغ الإمام زيد إلحاح هشام على طلبه استعد للرحيل مكرهاً.

وقبل أن يغادر المدينة ذهب ليصلي في مسجد جده رسول الله ﷺ ووقف مبتهلاً: اللَهُمَّ إنَّك تَعْلَمُ أني مُكْرَهٌ مُجْبُورٌ مضطرٌ غيرُ مختارٍ ولا مالك لنفسي، اللَهُمَّ واكفني كَيْدَهُ وألبِسْنِي جُبَّةَ عِزٍّ لكيلا أخشعَ لسلطانِه، ولا أرهب من جنوده، اللَهُمَّ وابسُط لِساني عليه بإعزازِ الحقِّ ونُصرتِه، كي أقولَ قولَ الحقِّ ولا تأخُذنِي لومةُ لائم، ولا إذلالُ الجبَّارِين،

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص: ١٢٩.

اللَهُـمَّ واجْمَعْ قَلْبِي عَلَى هِدَايتِكَ، وأرني من إعزازِكَ إياي ما يَصْغُرُ به عنـدي مُلْكُه، وتَذِلُّ لي نَخْوَتُه، اللَهُـمَّ فاطْرَحِ الهيبة في قَلْبِه وذَلِّلْ لي نفسه، واحْـبِسْ عَنِّي كَيْدَهُ. ثم قال: إني خارج عن وطني ودار هجرتي وما أراني إليها راجع.

ثم أتى قبرَ رسول اللهّ ﷺ فصلى إلى جَنْبِه، ثـم انصـــرف مـن صـلاته فقال: السَّلام عليك يا رسول اللهّ، السلام عليك يا نبي اللهّ، السلام عليك يا خيرة الأنبياء وأشـرف الرسل، السلام عليك يا حبيب اللهّ، هذا آخر عهدي بمدينتك، وآخر عهدي بقبرك ومنبرك، أخْرِجْتُ يا أبَهْ كارهاً، وسـيـرتُ في البلاد أسيراً يـا رسـول اللهّ، وإني سـائلك الشـفاعة إلى اللهّ عـز وجـل، وأن يُؤَيِّدَنِي بِثِقَـةِ اليقـين، وعِـزِّ التقـوى، وأن يختـم لي بشـهادة تلحقنـي بآبـائي الأكرمين وأهلي الطاهرين.

ولما توجه إلى دمشق سبقت أخبـار الإمـام زيـد مَقْدَمـه، وبـات المؤيـد والمتربص يترقبان حلوله على الشام، وفور وصوله فُرضت عليه إقامة جبرية في الرُّصافة، وهي مدينة قديمة في بادية الشام كان هشام بن عبد الملك يقـيم فيها وهناك قصده العلماء وأهل المعرفة ليقتبسوا شذرات مـن علمـه الجـم، وتحولت الرصافة إلى محتشد للعلماء، ومجمع للفقهاء والأدباء. وبعد فترة من وصول الإمام زيد إلى الشام،لم يأذن هشام له بالدخول عليه وهو يريد بذلك إذلاله وتصغيره، وبعد تجاهل دام لمدة أربعين يوماً أذن للإمام زيد بالدخول على هشام، وكان هشام يحمل حقداً شخصيّاً تجاه الإمـام عـلي بـن الحسـين والد الإمام زيد وبقية أولاده، وقصه هشام معروفة حينما كـان وليـاً للعهـد عندما جاء إلى مكة المكرمة ورأى ازدحام الناس حول البيت فلم يقدر عـلى

استلام الحجر بينما فتح الطريق للإمام زين العابدين عليه السلام وجاء الفرزدق وانشد أبياته المشهورة على هذه القصة التي أصبحت مثلا وثورة ضد الطاغوت، فهو يحمل حقداً شخصياً تجاه هذه الأسرة، وكان هشام قد أمر أعوانه بالتزاحم في المجلس وعدم الاكتراث بالإمام زيد حين دخوله عليهم.

حوار الإمام زيد مع هشام:

ولما دخل الإمام زيد ورأى كل المقاعد مملوءة فسلم وجلس حيث ينتهي به المجلس فتجاهله هشام ومن بحضرته، واشْتَمَّ الإمام زيد رائحة المؤامرة، فانبرى قائلا: «السلام عليك أيها الأحول، وإنك لجدير بهذا الاسم» وبهذه الكلمات تبدد الصمت ونُسِفَت المؤامرة، فاستشاط هشام غضباً، وأراد أن يحد من جرأة الإمام زيد بتخويفه وتحقيره.

فقال له:«أنت زيد المؤمل للخلافة، ما أنت والخلافة وأنت ابن أَمَة؟!».

فعرف الإمام زيد عليه السلام أن هشام لا يجيد غير تلك العصبية الجاهلية التي ورثها من آباءه وأجداده وهي التفاخر بالأنساب والآباء والأمهات كما كانت عادة العرب في الجاهلية وأراد الإمام زيد أن يبين لـ(هشام) هشاشة تفكيره وصغر عقله وأن ما يعتقده شرفا ورفعة أنما هو من مخلفات الجاهلية التي جاء الإسلام ليمحوها وقال له:«<u>يا هشام، إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن حتم الغايات، ولا أعرف أحداً أحب عند الله من</u>

نبي بعثه وهو ابن أَمَة، وهو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوة أعظم عند الله من الخلافة، ثم لم يمنع ذلك أن جعله الله تعالى أبا للعرب، وأبا لخير النبيين محمد ﷺ فلو كانت الأمهات تقصر عن حتم الغايات لم يبعثه الله نبياً».

فانتفخت أوداج هشام غضباً وغرق في الدهشة وذبلت الكلمات على شفتيه، حيث رأى سيفاً مسلولاً من سيوف بني هاشم، وقد أدرك الإمام زيد ذلك على وجه هشام فأردف قائلا: «اتق الله يا هشام».

فانبرى هشام بن عبدالملك صارخا وقد فقد السيطرة على نفسه وقال في حَنَق: «ومثلك يأمر مثلي بتقوى الله؟!».

فخاطبه الإمام زيد قائلا: «يا هشام إن الله لم يرفع أحداً فوق أن يُؤْمَر بتقوى الله، ولم يضع أحداً دون أن يَأمُر بتقوى الله!!»

وهنالك تأكد لهشام أن زيداً ليس ممن تغيب عنه الحجة، فتحول إلى ما يجيده المستبدون من الإبراق والإرعاد، فقال: «هذا تحقيق لما رُفِع إليَّ عنك .. ومن أَمَرَك أن تضع نفسك في غير موضعها وتراها فوق مكانها ؟ فترفع على نفسك واعرف قدرك، ولا تشاور سلطانك ولا تخالف على إمامك».

ويجيب الإمام زيد عليه السلام بعبارات ملؤها العقل والرزانة والحكمة: «مَنْ وَضَعَ نفسه في غير موضعها أثم بربه، ومن رفع نفسه عن مكانها خسر نفسه، ومن لم يعرف قدره ضل عن سبيل ربه، ومن شاور سلطانه وخالف إمامه هلك، أفتدري يا هشام من ذلك؟ ذلك من عصى ربه، وتكبر على

خالقه وتسمى باسم ليس له، وأما الذي أمـرك بتقـوى اللهّ فقـد أدى إلى اللهّ النصيحة فيك، ودَلَّك على رُشْدِك!».

فوقعت هذه الكلمات على هشام كالصاعقة، وقام في حالة من الغضـب والرعونة معلناً هزيمته وعدم قدرته على مجارات الإمام زيد بقوله لجلاوزته: أخرجوه من مجلسـي، ولا يبيتَنَّ في عسكري.

فقال له الإمام زيد: «لا تجدني إلا حيث تكره!» وخرج الإمام زيـد وهـو يقول كلمته الشهيرة: «والله ما كره قوم قط حَرَّ السيوف إلا ذلوا» وفي رواية أنه قال: «من اسْتَشْعَرَ حُبّ البقاء اسْـتَدْثَرَ الـذُّلَّ إلى الفنـاء». وحُمِلَـت هـذه الكلمــة إلى هشــام، فوضــعته أمــام حقيقــة كــان قــد تجاهلهــا، فقــال لأعوانه: «ألستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا؟ هيهات ما ذهب قوم هذا خَلَفُهم!».

انطلاق الثورة

خرج الإمام زيد من مجلس هشام بعد ذلك الحوار الساخن متوجهـا إلى الكوفة وبعد أربعة عشـر شهراً قضاها الإمام زيد في العراق يَتَنَقَّلُ سـراً بين مدنها وقراها، ويراسل أهلها ويـدعوهم إلى إعـلان مـوقفهم مـن السـلطة الطاغية والتعبير عنه بالانضمام إلى صفوف المجاهدين، وعـلى امتـداد تلـك الفترة كان يوسف بن عمر الثقفي يبث جواسيسه في كل مكان للتعرف على أخبار الإمام زيد وأتباعه.

وبعد أن هيأ الإمام ما يجب تهيئته اتفق مع أصحابه على أن يكون موعد الانطلاق هو اليوم الأول من شهر صفر (سنة ١٢٢ هـ) وعلى إثر ذلك بعث دعاته إلى البلدان لإعداد أنصاره للخروج في الموعد المحدد.

وتَسربَت إلى هشام بعض أخبار الإمام زيد فشعر بالضيق، وأبدى تخوفه الشديد من هذه الحركة لِمَا يعرف عن الإمام زيد من صلابة الإرادة وقوة التأثير، فبعث إلى يوسف بن عمر يستحثه على الإلحاح في طلب الإمام زيد. فكثف يوسف بن عمر جهوده وزاد في عدد جواسيسه، وأمر بتفتيش المارَّة واستجواب المشتبه فيهم، واستطاع بعد عناء أن يتعرف على إحدى الدور التي يقيم فيها الإمام زيد، فأمر رجاله باقتحامها ليلاً، فوجدوا الإمام زيد قد تحَوَّل عنها، فأخذوا رجلين كانا فيها، وأتوا بهما إلى يوسف بن عمر، فأراد أن ينتزع منهما بعض الأسرار فلم يستطع، فهددهما بالقتل فلم يجِدِ شيئاً؛ لأن إيمان الرسالي بقضيته يفوق حرصه على الحياة، وينسيه نفسه، وحين لم تجِدِ معهما الحيل قُدِّما للإعدام، فكانا أول شهيدين في طريق الثورة الخالدة.

وعَلِمَ الإمام زيد عليه السلام بمقتلهما فساءه ذلك كثيراً، وأدرك أن أمره قد انكشف وأن عليه أن يسيطر على الوضع بحكمة وشجاعة للمحافظة على الثورة حتى لا تضرب في مهدها، فانتقل إلى دار معاوية بن إسحاق في ظهر الكوفة وجمع من استطاع من أصحابه وبدأوا في إعداد معسكرهم والتهيؤ لأي هجوم مباغت، وهنالك شعر يوسف بن عمر أنه لم يعد قادراً على الوصول إليه بسهولة، بل لا يأمن على نفسه من الوقوع تحت الحصار أو

الأسـر، فبقي في الحِيْرة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة يُعِدَّ جنده ويسـتقبل المدد القادم من الشام. وهكذا أخذ كل من المعسكرين في الإعـداد والتهيئـة لخوض المعركة الحاسمة.[1]

خطبة للإمام زيد يبين فيها أهداف ثورته:

أذكّركم أيها السامعون لدعوته المتفهمون مقالتنا، بالله العظيم الذي لم يذكر المذكرون بمثله، إذا ذكرتموه وجلت قلوبكم، واقشعرت لذلك جلودكم، ألستم تعلمون أنّا ولد نبيكم المظلومون المقهورون فلا سهم وُفِّينا، ولا تراث أعطينا، وما زالت بيوتنا تهدم، وحرمنا تنتهك، وقائلنا يعرف، يولد مولودنا في الخوف، وينشأ ناشئنا بالقهر، ويموت ميتنا بالذل.

ويحكم إن الله قد فرض عليكم جهاد أهل البغي والعدوان من أمتكم على بغيهم، وفرض نصـرة أوليائه الداعين إلى الله وإلى كتابه، قال تعالى:﴿فَلَيَنْصـرنَّ اللهُ مَنْ يَنْصـرهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ﴾ ويحكم إنّا قوم غضبنا لله ربنا، ونقمنا الجور المعمول به في أهل ملتنا، ليحكم بالهوى ونقض العهد وصلى الصلاة لغير وقتها، وأخذ الزكاة من غير وجهها، ودفعها إلى غير أهلها، ونسك المناسك بغير هديها، وأزال الأفياء والأخماس والغنائم، ومنعها الفقراء والمساكين وابن السبيل، وعطّل الحدود وأخذ بها الجزيل، وحكم بالرشا والشفاعات والمنازل وقرّب الفاسقين، ومثل

---

(١) محمد عزان، الإمام زيد، مصدر سابق، ص:١٠٩-١١٠.

بالصالحين واستعمل الخيانة، وخوّن أهل الأمانة وسلّط المجوس، وجهّز الجيوش، وخلّد في المحاسن، وجلد المبين، وقتل الوالد، وأمر بالمنكر، ونهى عن المعروف، بغير مأخوذ عن كتاب الله ولا سنة نبيه، ثم يزعم زاعمكم أن الله استخلفه يحكم بخلافه، ويصد عن سبيله، وينتهك محارمه، ويقتل من دعا إلى أمره، فمن أشر عند الله منزلة ممن افترى على الله كذباً، أو صدَّ عن سبيله، أو بغاه عوجاً، ومن أعظم عند الله أجراً ممن أطاعه، وآذن بأمره، وجاهد في سبيله وسارع في الجهاد، ومن أحقر عند الله منزلة ممن يزعم أن بغير ذلك يمنُّ عليه ثم يترك ذلك استخفافاً بحقه وتهاوناً في أمر الله، وإيثاراً للدنيا، ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين.[1]

يقول زيد الوزير: وهكذا قامت ثورة الإمام زيد، على أساس قواعد إسلامية واضحة، لا لبس فيها، وكان خروجه عليهم لتلك الأسباب، وليس لأن الأمويين كفاراً، وإنَّما لأنَّهم ظلمة، والخروج على الظلم واجب، وليس من يتردد في القول بأن الظلم أشد ضرراً من الكفر، لأنَّ كفر المرء قضيّة شخصية، لا تلحق بالمجتمع ذلك الضرر الذي يلحقه الظلم بالناس مباشرة؛ إذ الظلم مصيبة اجتماعيَّة، والكفر مصيبة شخصية. وهكذا لم يخرج الإمام زيد بن علي على بني أمية من أجل أنَّهم لا يقيمون شعائر الإسلام، أو أنَّهم كفَّار، وإنَّما هم مسلمون، يصلون، ويصومون، ويحجون،

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦/ ٢٠٦.

ولكن لأنَّهم ظلموا سياسيًّا، واجتماعيًّا واقتصـاديًّا، ومـن أجـل رد المظـالم، وإقامة العدل، والمساواة بين بني البشـر.[١]

انطلاق المواجهة:

ولما أحصى الإمام زيد عليه السلام في ديوانه أكثر من خمسة عشـرة ألف مقاتل بعد سلسلة من المراسلات قرر الخروج، لكنه وقبل أن يعلن التحرك المسلح كانت عيون المخابرات الأموية قد رصدت هـذه التحركـات، الأمـر الـذي أدى لمجريات الحركة المسلحة أن تسير على نسق مخالف تمامـاً لخطـة الإمـام زيد، إذ داهمته الجيوش الأموية قبل موعد الانطلاق المـنظم، ولم يكـن جميـع أنصاره متواجدين حوله لحظة المداهمة، بالإضافة إلى أن جزءاً منهم حوصـر في المسجد، وكثيراً منهم تخلف غدراً وخيانة، ومع ذلك لم ييـأس الإمـام ولم يستسلم، وإنما قرر المواجهة، وإلى الله تصير الأمـور.

وفي أول ظهور عسكري للإمام زيد بن علي عليه السلام خرج متقلداً سيفه، لابساً ملابس الحرب، وبين يديه مصحف، فوقف وقال:«أيها الناس أعينوني على أنباط أهل الشام فواللـه لا يعينني عليهم أحد إلا رجوت له أن يجيء يوم القيامة آمناً حتى يجاوز الصـراط ويدخل الجنة.

ثم قال: سلوني، فواللـه ما تسألوني عن حلال أو حرام، أو محكم أو متشابه، أو ناسخ أو منسوخ، أو أمثال أو قصص، إلا أنبأتكم به، واللـه ما

---

(١) زيد بن علي الوزير، التدمير حديث في تحريف بعض المصطلحات، تحت الطبع عن مركز الـتراث والبحـوث اليمني. ص ٨٣

وقفت هذا الموقف ولا قمت مقامي هذا حتى قرأت القرآن، وأتقنت الفرائض والأحكام، والسنن والآداب، وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل، وفهمت الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، وأنا أعلم أهل بيتي بما تحتاج إليه الأمة، وأنا على بصيرة من ربي».[١]

ومن ثم زحف عليه السلام مع من كانوا عنده من أصحابه، وتعالى صوته وأصحابه بالتكبير، والمناداة بشعار رسول الله:«يا منصور أمت يا منصور أمت»[٢] ولم يجبه إلى دعوته إلا مائتان وثمانية عشر رجلاً[٣] ولكنه لم يكن يبالي بالكثرة الضالة المنحرفة وكان يقول:«القليل في الطاعة هم أهل الجماعة، والكثير في المعصية هم أهل البدعة»[٤] ولما خفقت رايات الجهاد رفع الإمام زيد عليه السلام يده إلى السماء وقال:«الحمد لله الذي أكمل لي ديني أما والله لقد كنت أستحي من رسول الله ﷺ أن أَرِدَ عليه ولم آمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر»[٥] ثم توجه إلى أتباعه وأنصاره قائلاً:«والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنة نبيه أن تأجج لي نار ثم قُذفت فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله، والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، يا معاشر الفقهاء ويا أهل الحجا أنا حجة الله عليكم هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود

---

(١) أمالي أبي طالب: ١٥٩-١٦٠، المنهاج الجلي(خ)، أمالي الشيخ الصدوق: ٢٨٦.

(٢) مقاتل الطالبيين: ١٣٦، البداية والنهاية:٩/ ٣٧١.

(٣) الكامل في التاريخ: ٥/ ٢٤٣، البداية والنهاية:٩/ ٢٧١.

(٤) الروض النضير: ١/ ١٢٧.

(٥) أمالي أبي طالب: ١٥٩.

اللهّ ونعمل بكتاب اللهّ، ونقسم بينكم فيئكم بالسوية، فاسألوني عن معالم دينكم، فإن لم أنبئكم عن كل ما سألتم عنه فولوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني، واللـه ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي ولا انتهكت محرماً منذ أن عرفت أن اللهّ يؤاخذني به». ثم قال:«اللهم لك خرجت، وإياك أردت، ورضوانك طلبت، ولعدوك نصبت، فانتصر لنفسك ولدينك ولكتابك ولنبيك ولأهل بيتك ولأوليائك من المؤمنين، اللهم هذا الجهد مني وأنت المستعان»[1]

وفي ساحة الوغى رسم أروع المواقف البطولية، جندل فيها صناديد الشام، ومزق صفوفهم، فجعلوا يفرون منه كالقطعان، وهو ينادي: ألا من طرح سلاحه فهو آمن، حتى سيطر على الكوفة، وكان قد بعث (يوسف بن عمر) بعض رجاله إلى شوارع الكوفة لإثارة الرعب في قلوب الأهالي، ودعوة الناس إلى الاجتماع في المسجد الأعظم، وتم حظر التجول وحمل السلاح، وبث الإشاعات عن الجيش القادم من الشام فخاف الناس وتوجهوا إلى المسجد، ولكن الإمام زيد ذهب مع أنصاره لرفع الحصار عن أهل المسجد وطمأنة أهل الكوفة، وفي طريقه إلى المسجد وقعت بينه وبين جند الأمويين مواجهة عنيفة كان النصر فيها حليفه، ولما وصل إلى جوار المسجد نادى أصحابه بشعاره وأدخلوا الرايات من نوافذ المسجد، وكان نصر بن خزيمة ﷺ ينادي:«يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل إلى العز ومن الضلال إلى الهدى اخرجوا إلى خير الدنيا والآخرة فإنكم لستم على

---

(١) المنهاج الجلي(مخطوط).

واحد منها» ولكنهم حنوا إلى طبعهم القديم الغدر والخيانة، واعتذروا بالحصار الموهوم. ووصل المدد الأموي القادم من قبل الحيرة يتدفق كالسيل، وعلى النقيض تماماً كان جند الإمام ينقص ولا يزيد، عند ذلك نظر إلى نصر بن خزيمة وقال:«يا نصر أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا قد فعلوها حسينية» فقال نصر: جعلني الله فداك، أما أنا فوالله لأضربن بسيفي بين يديك حتى أموت، وبعد ذلك قاتل الإمام زيد ومن معه قتال المستبسل، وظل سيفه يعمل فيهم حتى أصابه سهم غادر من جبان لم يقوَ على مواجهته أو منازلته، وحينها سُمع صوته من قلب المعركة وهو يقول:«الشهادة..الشهادة، الحمد لله الذي رزقنيها» ولولا إصابته عليه السلام لزحف برايته حتى النصر، لأن ميزان التفوق في الأداء العسكري والقتالي كان يرجح كفة الإمام وأنصاره، وتراجع أصحاب الإمام زيد، وظن الأمويون عندما تراجع أصحاب الإمام زيد أنهم ما فعلوا ذلك إلاّ لدخول الليل وحلول الظلام، والتف الأصحاب حول إمامهم، وجيء بالطبيب فوجد السهم قاتلاً، ومكث يعاني جراحه النازفة بعد أن عجز الطبيب عن علاجه، حتى مات رحمه الله تعالى شهيداً في الخامس والعشرين من شهر محرم من سنة (١٢٢هـ) وقد كان آخر ما قاله وصية أفرغها في دماء ولده الأكبر، إذ جاءه ولده الإمام يحيى فأكب عليه، وبكى بكاءً مراً، ثم مسح الدم عن وجه أبيه وقال: أبشر يا ابن رسول الله، ترد على رسول الله، وعلي وفاطمة وخديجة والحسن والحسين عليهم السلام وهم عنك راضون.

فقال الإمام: صدقت يا بني، فأي شيء تريد أن تصنع؟

قال يحيى: أجاهدهم إلا أن لا أجد الناصر.

قال: نعم يا بني، جاهدهم، فوالله إنك لعلى حق، وإنهم لعلى باطل، وإن قتلاك في الجنة، وقتلاهم في النار.

ثم فاضت الروح المقدسة وودعت إلى بارئها لتتقاضى الثمن الموعود به ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِيْ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِروْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْمُ﴾ (التوبة:١١١).

ودفن عليه السلام بجوار النهر، ومن حوله الماء، لكن الأمويين لم يكتفوا بقتله، وإنما أعلنوا في الأسواق عن جائزة مغرية لمن يدلهم على قبره، ففعل ذلك بعض ضعفاء النفوس، ومن ثم عمدوا في دناءة ما عرف لها التاريخ مثيلاً إلى نبشه من قبره، ثم قاموا بفصل رأسه عن جسده، وأرسل الرأس إلى الشام، وأمر هشام بأن يُطاف به في جميع البلدان لتخويف الناس وزرع الذعر بينهم، إلى أن وصل الرأس الشريف إلى مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ إلى أمام قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتحديد، ليظهروا بذلك بغضهم وحقدهم لآل بيت النبوة والرسول الكريم، وبعد أن نصب في المسجد طلب من الناس الحضور وإعلان البراءة من الإمام علي بن أبي طالب والإمام زيد بن علي وأهل البيت عليهم السلام وهكذا بقي الرأس الشريف مصلوبا في المدينة المنورة إلى أن نُقل إلى مصر ونصب هنالك أياما ثم أخذ سراً ودفن هنالك، قال المقريزي: ومشهده باق إلى الآن بين كيمان مدينة مصر يتبرك به

الناس، ويقصدونه لاسيما في يوم عاشوراء.[1] وقال بعضهم: الدعاء عنده مستجاب والأنوار تُرى عليه.[2]

وأما الجسد فصلبوه بالكناسة على عمود عاريا، وكانت العنكبوت تنسج على عورته الخيوط وتسترها عن الأعين، وكانوا يزيحون تلك الخيوط، إلا أن العنكبوت كانت تبدلها بخيوط أخرى كلما أزاحوها، وهكذا بقي الجسد الطاهر للإمام زيد عليه السلام مصلوباً إلى أن تحول إلى مزار يقصده الناس من كل فج، فأمروا بإخفائه عن الناس وقاموا بإحراقه وذره في الماء والهواء، قال يوسف بن عمر: والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم.[3]

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بالإمام زيد:

وردت روايات عديدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل الإمام زيد بن علي عليه السلام وفي دعوته وخروجه واستشهاده ولضيق المجال سنكتفي بإيراد البعض منها كالتالي:

---

(١) المقريزي، الخطط المقريزية: ٣/ ٦٣٧.

(٢) إسعاف الراغبين ٤١، البحر الزخار: ١/ ٢٢٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٥٦.

١- عن أبي جعفر محمد بن علي، عن النبي ﷺ أنه قال للحسين: «يخرج من صلبك رجل يقال له: زيد، يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين، يدخلون الجنة أجمعين بغير حساب».[1]

٢- عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «يقتل من ولدي رجل يقال له: زيد، بموضع يعرف بالكناسة[2] يدعو إلى الحق يتبعه عليه كل مؤمن».[3]

٣- عن علي عليه السلام قال: لما أخبرني رسول الله ﷺ بقتل الحسين وصلب ابنه زيد عليه السلام قلت: يا رسول الله أترضى أن يقتل ولدك؟ قال: «يا علي أرضى بحكم الله فيَّ وفي ولدي، ولي دعوتان: أما أحدهما فاليوم، وأما الثانية فإذا عرضوا على الله عز وجل وعرضت عليَّ أعمالهم، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «يا علي أمِّن على دعائي: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بَدَداً، وسلط بعضهم على بعض، وامنعهم الشرب من حوضي ومرافقتي. ثم قال: يا علي أتاني جبريل عليه السلام وأنا أدعو وأنت تؤمِّن على دعائي» فقال: «قد أُجِيبت دعوتكما».[4]

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٣١، وأمالي الصدوق المجلس (٥٣)، ص: ٢٧٠ــ٢٧١، وسلوة العارفين، ص: ٥٤٥. وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٦/ ٢٠، والكنى في الوفيات: ٢/ ٣٥، وشمس الأخبار: ١/ ١٢١.

(٢) الكُناسة: بالضم، وهو محل بالكوفة. معجم البلدان: ٤/ ٤٨١.

(٣) رواه الشهيد حميد في الحدائق الوردية: ١/ ٢٤٤، وأورده في شمس الأخبار: ١/ ١٢٠، ومقاتل الطالبيين: ١٣١.

(٤) رواه الشهيد حميد في الحدائق الوردية: ١/ ٢٤٣، أخرجه الإمام المرشد في الأمالي.

٤- عن ابن عباس، قال: بينما علي بين أصحابه إذ بكى بكاءً شديداً حتى لثقت[١] لحيته فقال له الحسين عليه السلام: يا أبت، مالك تبكي؟ قال: يا بني لأمور خفيت عنك، أنبأني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: وما أنبأك به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: يا بني، لولا أنك سألتني ما أخبرتك لئلا تحزن ويطول همك، أنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثاً طويلاً قال فيه: «يا علي، كيف أنت إذا وليها الأحول الذميم، الكافر اللئيم، فيخرج عليه خير أهل الأرض من طولها والعرض». قلت: يا رسول الله من هو؟ قال: «يا علي، رجل أيده الله بالإيمان، وألبسه قميص البر والإحسان، فيخرج في عصابة يدعون إلى الرحمن، أعوانه من خير أعوان، فيقتله الأحول ذو الشنآن، ثم يصلبه على جذع رمان، ثم يحرقه بالنيران، ثم يضربه بالعسفان[٢]، حتى يكون رماداً كرماد النيران ثم يصير إلى الله عز وجل روحه وأرواح شيعته إلى الجنان».[٣]

٥- عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «رأيت في منامي رجلاً من أهل بيتي، دعا إلى الله وعمل صالحاً غير المنكر وأنكر الجور فقتل فعلى قاتله لعنة الله».[٤]

---

(١) اللثق البلل، لسان العرب: ١٠/ ٣٢٦.

(٢) العسبان: مفرده عسيبب، وهي جريد النخل، لسان العرب ١/ ٥٩٩.

(٣) رواه الشهيد حميد في الحدائق الوردية: ١/ ٢٤٥، ومسند شمس الأخبار: ١/ ١٢٠.

(٤) رواه الشهيد حميد في الحدائق الوردية: ١/ ٢٤٦ - ٢٤٧، وابن عساكر في تاريخه ١٩/ ٤٨٠.

٦- عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج رجل من ولدي فيقتل بالكوفة ويصلب بالكناسة يخرج من قبره نبشاً، وتفتح لروحه أبواب السماء، ويبتهج به أهل السماوات يقولون دعاة الحق، ثم تجعل روحه في حوصلة طير أخضر يروح في الجنة حيث يشاء، من نظر إلى صورته ولم ينصره أكبّه اللّه على وجهه في النار».[١]

قالوا في الإمام زيد بن علي عليه السلام:

- قال الإمام محمد الباقر عليه السلام عندما سأله جابر الجعفي عن أخيه زيد: «سألتني عن رجل ملئ أيمانا وعلما من أطراف شعره إلى قدميه، وهو سيد أهل بيته».[٢]
- وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا لدين الله، وأوصلنا للرحم، وكان والله سيدنا، ما ترك فينا لدنيا ولا آخره مثله».[٣]
- وقال أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه: «ما رأيت مثل زيد ولا أفقه ولا أعلم منه». وقال أيضا: «ما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أسرع جوابا، ولا

---

(١) رواه الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا كما في الغدير ٣/ ٦٩، وفي أعيان الشيعة ٧/ ١٠٩، ورواه في ينابيع النصيحة بلفظ مقارب ص: ٤٦٠

(٢) تيسير المطالب: ٨٤.

(٣) المنهاج الجلي مخطوط.

أبين قولا».[1] وقال أيضا:«شاهدت زيدا كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أعلم منه ولا أسرع جوابا، ولا أبين قولا، لقد كان منقطع القرين».[2]

- وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ:«إن زيداً لمن الفاضلين في قيله ودينه».[3]
- وقال الشعبي:«ما ولدت النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه منه، ولا أشجع، ولا أزهد».[4]
- وقال أبو غسان الأزدي:«قدم علينا زيد بن علي إلى الشام أيام هشام، فما رأيت رجلا كان أعلم بكتاب الله منه، ولقد حبسه هشام خمسة أشهر يقص علينا ونحن معه في الحبس تفسير الحمد وسورة البقرة، يهذُّ ذلك هَذًّا».[5]
- وقال هشام بن عبدالملك الأموي معترفاً بمكانة الإمام زيد:«والله ما انقرض قوم هذا خلفهم».[6] وقال أيضا:«إن له لسانا أحد من شبا

---

(١) مقدمة المجموع، ص: ٧.
(٢) نور الأبصار، ص: ٢١٥.
(٣) الأنوار مخطوط.
(٤) الروض النضير ١/ ٩٨، نور الأبصار ٢١٥، خطط المقريزي.
(٥) الأنوار، المنهاج الجلي مخطوطان، وأعيان الشيعة ٧/ ٢٤٢
(٦) أنوار اليقين مخطوط.

الأسنة، وأقطع من ضبة السيف، وأبلغ من السحر والكهانة ومن كل نفث في العقد».[١]

- وقال عاصم بن عبدالله العمري مخاطباً أهل الكوفة: «لقد أصيب عندكم رجل ما كان في زمانه مثله ولا أراه يكون بعده مثله، قيل له ومن هو؟ قال: زيد بن علي. قيل له: إنك لتقول ذلك!! قال: نعم، أنا أكبر منه سنا، فلقد أتى عليَّ سبعون سنة لقد رأيته وهو غلام حَدَث السن، وإنه ليسمع الشيء من ذكر الله عز وجل فيغشى عليه، حتى يقول القائل ما هو بعائد إلى الدنيا».[٢]
- وقال المعافى بن زكريا: «لقد كان رضوان الله عليه، من الأعلام الأبرار، والأئمة الأخيار، سلك سبيلهم في نصرة حزب الإسلام وأوليائه، ومجانبة مخالفي الدين وأعدائه، وغضب لله جل جلاله من طغيان المترفين وعدوان المسرفين، فجاهد في سبيل الله بنفسه ومَن أطاعه من أهله وأوليائه من أماثل المسلمين، وإخوانه في الملة والدين، وأبدا صفحته، وبذل في ذات الله مهجته، فقضى الله تعالى له بالتوفيق والسعادة، وختم له بالغفران والشهادة ونقله إلى دار كرامته».[٣]

---

(١) تاريخ الكوفة ٣٤٥، أعيان الشيعة ٧/ ١٠٨.

(٢) مقاتل الطالبين: ١٢٨، الروض النضير: ١/ ٩٨، أعيان الشيعة: ٧/ ١٠٧.

(٣) مجموع في أخبار الإمام زيد.

- وقال محمد بن علي الطباطبائي من أشهر علماء الإمامية: «السيد الجليل الشهيد أبو الحسين زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب إمام الزيدية، كان سيدا كبيرا عظيما، والروايات في فضله كثيرة».[1]
- وقال محمد بخيت المطيعي من علماء الحنفية: «إمام الأئمة وحبر الأمة، وتاج العلماء المجتهدين وقدوة الفضلاء العاملين، وحيد عصره وفريد دهره الإمام الشهيد زيد بن علي زين العابدين، وكيف لا يكون كذلك وهو من السلالة الطيبة الطاهرة في الدنيا والآخرة، جلالة بيت النبوة والشجاعة، والمرؤة، والفتوة، قد بلغ ثمن العلوم العقلية والنقلية ما لم يبلغه غيره في عصره، ومن التقوى والزهد والورع وحميد السير والسيرة، وصفاء الطوية والسريرة، ما كاد يجعله من مضاف الأملاك»[2].
- وقال محمد أبو زهرة العالم المصري والمؤرخ الشهير: «أجمع الذين عاصروا الإمام زيد أنه كان عالما غزير العلم، محيطا بشتى العلوم الإسلامية، فهو عالم بالقراءات وكل علوم القرآن من تفسير وعلم بالناسخ والمنسوخ، وهو عالم من علماء العقائد له فيها آراء تعد مذهبا»[3]. وقال أيضا: «لقد كان زيد عالما بلا نزاع، وكان عالما واسع الآفاق مستبحر المعرفة، علم آراء الفقهاء ما بين الحجازيين والعراقيين،

---

(١) أعيان الشيعة: ٧/ ١٠٨.

(٢) مقدمة المسند ٣٨.

(٣) محمد أبو زهرة، كتاب الإمام زيد حياته وعصره وآراؤه الفقهية، ص: ٧٠.

وعلم المناهج الفقهية كلها، وكان عالما بحديث آل البيت عليهم السلام، وكان عالما بالفرق الإسلامية»[١]. وقال أيضا:«ولم تجتمع العلماء على تقدير عالم كتقدير زيد بن علي رضي الله عنه، فأهل السنة والمرجئة والمعتزلة والشيعة قد اجمعوا على إمامته في العلم، وأنه كان حجة في علم الفقه، فكان من أعلم الناس بالحلال والحرام، ولقد اجمع العباد والزهاد وغيرهم على أنه لم يكن له نضير في علمه وخلقه»[٢].

- وقال هاشم معروف الحسني مؤرخ وعالم من الإمامية:«لقد كان زيد بن علي من الدعاة إلى الحق العدل ومحاربة الظلم والجور والتسلط، فكانت دعوته امتدادا لدعوة جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وثورته قبسا من ثورة جده الحسين عليهم السلام»[٣].
- ويقول السيد المقرم بعد نقله لعدد من الأحاديث التي ضمنها في كتابه (زيد الشهيد):«على ضوء هذه الأحاديث الكريمة نعرف من الحقيقة أنصعَها ويتجلّى من أعماق الأصداف لوَلوَها، وانّ تلك الشخصية الشامخة على سبب وثيق من معادن الحقّ، وذات كرامة قدسية تهبط من الملاَ الأعلى، وأنّ الأئمة الهداة يتألفون من غرة تلك النهضة الهاشمية أن يعود الحقّ إلى نصابه، وهي القوة التي تتحطم بها هياكل الباطل وتعقد عليها الآمال، وهي التي أظهرت مظلومية الأئمة، ومثّلت للملاَ

---

(١) أبو زهرة، كتاب الإمام زيد، السابق، ص:٧٢.

(٢) أبو زهرة، كتاب الإمام زيد، السابق، ص:٧١.

(٣) الانتفاضات الشيعية: ٤٨٣.

أحقيتهم بالخلافة، من غيرهم ذوي الإطماع وأرباب الشهوات، وانكشف لنا بكل وضوح امتثاله أمر الإمام في نقض دعائم الإلحاد وتبديد جيش الظلم والباطل، وتفريق جماهير الشرك وأحزاب الضلال، وعبدة المطامع والأهواء، خصوصاً إذا قرأنا قول الباقرعليه السلام: «ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه» وقول الصادق عليه السلام: «إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه» وقوله: «أشركني اللهّ في تلك الدماء» وقوله عندما سئل عن مبايعته: «بايعوه» وقوله: «خرج على ما خرج عليه آباؤه» وقوله: «بريء اللهّ ممن تبرّأ من عمي زيد». فإنّ هذه الأحاديث تدلنا على أنّه لم يقصد إلاّ إصلاح أُمّة جده صلى الله عليه وآله ولم يدع إلاّ إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة. وهناك جملة أُخرى من الأحاديث حكت لنا مقايسة الإمام عليه السلام شهادة زيد بالشهداء الذين استشهدوا مع النبي صلى الله عليه وآله وعلي والحسين عليهما السلام وقد استشهد هنالك رجال كانت لهم منازل عالية ومقامات رفيعة يغبطهم عليها جميع الشهداء، وقد نال زيد بذلك التشبيه والمقايسة تلك المراتب العالية وحاز ذلك الشرف الباهر، فحقيق إذاً إذا قال الباقر عليه السلام في دعائه: «اللهم أُشدد أزري بزيد» وقال النبي صلى الله عليه وآله: «يأتي زيد وأصحابه يوم القيامة يتخطّون رقاب الناس غُرّاً محجلين يدخلون الجنّة بغير حساب، وكانوا فرحين مسرورين بما أُوتي لهم من النعيم الدائم».[١]

---

(١) عبدالرزاق المقرم: كتاب: زيد الشهيد. ص: ٥٩.

- ويقول الدكتور أيمن محمد الجندي: هو زيد بن علي، رائد الإصلاح الذي وهب حياته لنصرة المسلمين، ما أحوجنا اليوم - في تلك الفتنة المحزنة بين السنة والشيعة - أن نستنشق عبيره ونستعيد ذكراه. ويضيف: استشهد زيد في المعركة ومات في الميدان، في مشتجر السيوف ومرمى السهام، حرا أبيا لم يرض بالدنية في دينه ودنياه.. مات ذلك الموت الكريم، ونال منزلة الشهداء حينما لم يسكت على باطل يرتفع وحق ينخفض وسنة تموت واستبداد يرهق النفوس.[(١)]

قبس من نور كلماته عليه السلام:

١. والله لوددت أن يدي ملصقة بالثريا ثم أقع منها حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة ويصلح الله بذلك أمر أمة محمد.
٢. والله ما كره قوم قط حَرَّ السيوف إلا ذلوا.
٣. أفلح من رضي بحكم الله، وخاب من أرغم الحقُّ أنفَه، العدل أولى بالآخرة ولو كره الجاهلون.
٤. حق لمن أمر بالمعروف أن يجتنب المنكر، ولمن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق.

---

(١) الدكتور أيمن محمد الجندي، مقال بعنوان: الإمام زيد بن علي رائد الإصلاح بين المسلمين، موقع إسلام أون لاين.نت

٥. اتقوا اللهّ في الأمر الذي لا يصل إلى اللهّ تعالى إن أطعتموه، ولا تنقصـون من ملكه شـيئاً إن عصيتموه.

٦. أيها الناس العجل العجل، قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، فوراءكم طالب لا يفوته هارب، إلا هارب هرب منه إليه، ففروا إلى اللهّ بطاعتـه، واستجيروا بثوابه من عقابه.

٧. لا تظلموا فتمقتوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثـم والعـدوان، يسـلم لكـم ديـنكم، وتحسن القالة فيكم.

٨. عباد اللهّ لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضـلوا عـن سـبيل اللهّ، ولكـن البصيرة ثم القتال، فإن اللهّ يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به عـلى حق، إنه من قتل نفساً يشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغـير حـق. عبـاد اللهّ البصيرة البصيرة.

٩. لن تعرف الهدى حتى تعرف الضلالة، ولن تعرف التقـي حتـى تعـرف الذي تعدى، فإذا عرفت البدعة في الدين والتكليـف، وعرفـت الفريـة على اللهّ والتحريف، رأيت كيف هدى من هدى.

١٠. إنما تصلح الأمورُ على أيدي العلماء، وتفسد بهم إذا باعوا أمر اللهّ تعـالى ونهيه بمعاونة الظالمين.

١١. لا تُمَكِّنوا الظالمين من قِيَادكم بـالطمع فـيما بأيـديهم مـن حُطـامِ الـدنيا الزَّائل، وتراثها الآفل.

١٢. والذي نفس زيد بن علي بيده لو بينتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون، لتَضَعْضَعَ بُنْيَان الجبَّارين، ولتهَدَّم أساس الظالمين.

١٣. إذا بدأت الخيانة، وخُرِبَت الأمانة، وعُمِل بالجور، فقد افتضح الوالي.

١٤. اتخذت الجبابرة دين الله دغلا، وعباده خولا، وماله دولا، فاستحلوا الخمر بالنبيذ، والمكس بالزكاة، والسحت بالهدية، يجبونها من سخط الله، وينفقونها في معاصي الله، ووجدوا على ذلك من خونة أهل العلم، والتجار، والزراع، والصناع، والمستأكلين بالدين أعواناً، فبتلك الأعوان خَطَبَتْ أئمة الجور على المنابر، وبتلك الأعوان قامت راية الفسق في العشاير، وبتلك الأعوان أخيف العالم فلا ينطق، ولا يتعظ لذلك الجاهل فيسأل، وبتلك الأعوان مشى المؤمن في طبقاتهم بالتقية والكتمان، فهو كاليتيم المفرد يستذله من لا يتق الله سبحانه.

١٥. إياكم والعصبية، وحمية الجاهلية، فإنهما يمحقان الدين، ويورثان النفاق.



منهج حرية وعدالة:

قال الدكتور أحمد محمود صبحي: وخرج زيد إنكاراً لاتخاذ وراثة الملك سنة في الحكم واستنكاراً لسيرة من عرف بالتجبر في الأرض والفسق والفجور: هشام بن عبدالملك.

وأبى الحسين أن يبايع ليزيد لأن البيعة حجة على آل البيت في قبول الغلبة مبدأ للحكم، ولكن حين بايع علي زين العابدين ثم سكت من بعده محمد الباقر على ولاية الأمويين خشي زيد أن يكون في التقية إقرار للغلبة مبدأ للحكم فخالفهما ليعيد مبدأ الحسين في الخروج، ففي بيعة الحسين ليزيد – لو أنها قد تمت – إقرار بانحراف السياسية الدينية التي لا تجيز وراثة الملك وإنما هي بدعة هرقلية وكسرية دخيلة على الإسلام، وفي سكوت زيد عن مظالم هشام إقرار بمبدأ السكوت على طغيان الظالمين[١].

والواقع أن زيداً قد جمع بين النظر والعمل على نحو متكامل، كان في النظر غاية في الفصاحة والبلاغة والبراعة حتى شبه بالإمام علي، وكان في العمل زاهداً مقداماً لا يتردد في تطبيق ما يؤمن به، يؤمن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويؤمن بعدم السكوت على حكم قام على الغلبة وبخاصة إذا كان الحاكم فاسقاً متجبراً.[٢]

---

(١) د. أحمد محمود صبحي، الزيدية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة:١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص: ٥٦، ومصدره: دونلدسون: عقيدة الشيعة، ص:٢٣٥.

(٢) د. صبحي، السابق، ص:٥٩.

وفي تساؤل هام يطرحه الدكتور صبحي في كتابه: "الزيدية" بعد أن استعرض حياة بعض أئمة الزيدية ممن قدموا حياتهم ودمائهم وأموالهم وأبنائهم رخيصة في سبيل إرساء دعائم الحرية والعدالة، بجهاد منقطع النظير للظلمة ومقاومة دائمة للجبابرة يقول في نهاية الفصل الثاني الذي وسمه وعنونه بـ(أئمة جهاد... واستشهاد): بعد هذه السلسلة المتصلة من المآسي لا بد أن يثور التساؤل عن جدوى الخروج، أما إيثار العافية فذلك نهج الشيعة الاثني عشرية، ومع ذلك فأئمتهم جميعاً قد ماتوا – حسب قولهم – مقتولين أو مسمومين.

على أنه بالرغم من صدق بصيرة الإمام جعفر الصادق في أن لله حكمة خفية في حرمان آل البيت من الخلافة، فذلك في نظر الزيدية لا يبرر القعود، ذلك أن علياً قد سبق أن تنبأ بأن معاوية سيملك ما تحت قدميه ومع ذلك فقد نصح أنصاره بعد أن طعن أن يستأنفوا حرب معاوية، وفي هذا إشارة خفية إلى ضرورة الخروج حتى لو كان النصر عسير المنال، ذلك أن شرط ترجيح النصر من أجل الخروج يشوبه مطمع دنيوي، وما لذلك يحارب أئمة ينتسبون إلى النبي.

وإنما الخروج في نظر الزيدية تطبيق لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوة السيف وإلا تفشى الظلم واستشرى الفساد، فبفساد الحاكم تفسد الرعية، ولقد كان يزيد وهشام من الأمويين والمنصور والهادي من العباسيين ممن صدق الله فيهم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوْا فِيْ الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوْا أَرْحَامَكُمْ﴾.

ولو أن شخصاً فاضلاً صالحاً لم يكن أمامه إلا أحد بـديلين: أن يسـكت عن منكر شاهده مؤثراً العافية لنفسه دون كرامته، أو أن يعمل عـلى تغيـيره وفي ذلك فصله من عمله وحرمانه رزقه وربما التخلص منـه بالقتـل فإنـه لا شك يؤثر الموقف الثاني، كذلك فعل أئمة الزيدية مسترشدين بقول الرسول ﷺ: «لا يحل لعين ترى الله يعصـى أن تطرف حتى تغير أو تهجر» وكذلك قوله عليه السلام: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائز فنهاه فقتله».

ويختتم الدكتور صبحي كلامـه بقولـه: «وإن تبـاهى أهـل كـل ديـن بشـهدائهم فإنـه يحـق للمسـلمين أن يتبـاهوا عـلى الأمـم بشـهداء الزيدية».[1]

وعن انفتاح المذهب الزيدي وتسامحه وقدرته عـلى اسـتيعاب متغـيرات العصـر ينقل الأستاذ زيد بن علي الوزير عن الدكتور صبحي قولـه: كانـت الزيدية أكثرها علانية وصـراحة.. وكانـت الزيديـة - بحكـم العقلانيـة - أكثرها انفتاحا على سائر الفرق وبخاصة أهل السنة.[2] وفي سياق التسامح والانفتاح يضيف: لا أستطيع – وكاتب هذه السطور من أهـل السـنة - أن أخفي إعجابي بالمذهب الزيدي لأسباب. ثم مضـى يعـدد هـذه الأسـباب، فاخترتُ منها ما يناسب هذا الحديث. قال: لا أكاد أجد مذهبا أكثر سـماحة

---

(١) د. صبحي، المصدر السابق، ص:٧٩.

(٢) زيد بن علي الوزير، بحث بعنوان: الزيدية بـين الإبـداع والعوائـق، ومصـدره: د. أحمـد محمـود صـبحي، الزيدية: ص٦١.

وأعدل قصدا تجاه الخصوم من الزيدية، بل أن منهج معظم مفكريهم في العرض لفريد؛ إذ يعرض مختلفَ الآراء على السواء في نزاهة وموضوعية، ثم يرجح المفكر ما يراه لا شطط ولا إسفاف، ولا ارتداء زي كهنوت، وإصدار أحكام التكفير على المخالفين[١]*، برئ معظم كتاب الزيدية من ذلك، وإن أصيب أحدهم بداء التعصب وبخاصة أتباع الجارودية قوّموا المذهب وصححوه.[٢]

ويقول الدكتور أحمد محمود صبحي: وتفتُّح المذهب طوال تاريخه منذ عهد مؤسسه حتى (الشوكاني) كفيل للمذهب بالبقاء ومجابهة ما يواجه من أزمات، ولا ينقص إلا أن تنفجر الطاقات الخلاقة بالمذهب، فتقدم حلولا جذرية لأزمة العصر.[٣]

ويضيف الدكتور صبحي: وإن سقوط نظام الإمامة لا يعني بحال ما إفلاس الفكر الزيدي، كما أن التحول الحديث والفصل بين السياسة والدين لا يعني أن تراث الزيدية قد أصبح في ذمة التاريخ، على العكس، إن تيارات معاصرة قوية تنادي بتطبيق شريعة الإسلام الصحيح في جميع المجالات

---

(١) * راجع على سبيل المثال البغدادي من الأشاعرة الذي لا يكفر المخالف ويحرم الصلاة خلفه أو عليه فحسب، بل ومن شك في كفره فهو كافر، وأمثاله في معظم الفرق كثيرون.[صبحي].

(٢) زيد بن علي الوزير: الزيدية بين الإبداع والعوائق، ومصدره: د. أحمد محمود صبحي، الزيدية، ص٥٧٧.

(٣) د. صبحي، المصدر السابق، ص: ٨٥-٥٨٦.

ومنها نظام الحكم، وأن المذهب الزيدي مطالب بالمشاركة في تجديـد الفكـر الديني وبتقديم حلول لأزمة العصـر. [١]

وينتهي إلى القول: أريد أن أقول: هذا تراث ينبغي أن يبعث وينشـر على الناس، وهو ليس مقصورا عـلى الكـلام، وأصـول الـدين، وإنـما في الفقـه وأصوله والتفسير والنحو وسائر العلوم الدينيـة واللغويـة، وإنهـا مسـئولية كبرى عـلى القـائمين عـلى الثقافـة في الـيمن وبخاصـة مراكـز الدراسـات والبحوث اليمنية. [٢]



(١) دكتور صبحي، الزيدية، ص٥٨٦.

(٢) زيد بن علي الوزير، بحث بعنوان: الزيدية بين الإبداع والعوائق، عن: دكتور صبحي، الزيدية، ص٥٨٦.

وختاماً:

لقد كان الإمام زيد بن علي عليه السلام يدرك بكل ما لديه من بصيرة نافذة خطورة الوضع الذي كانت تعيشه أمته آنذاك، كان قد استخدم عدة وسائل سلمية في محاولات عديدة ومواقف مختلفة لتلافي خطورة الوضع، وعندما أدرك أنه قد استنفد كل وسائل الإصلاح السلمي، وأن الأمر أصبح يحتاج إلى وسائل أخرى أكثر فاعلية وتأثيراً، أقدم بكل إيمان وإخلاص وإرادة وعزيمة صادقة على خيار الثورة، فمضى بنفس مطمئنة، وخطوات راسخة وهو يعلم أن الموت ينتظره، ولطالما كانت الشهادة مطلبه، واستمر في المضي نحو هدفه، دون قلق أو خوف، محيطاً بكل ما يدور حوله، لم يخرجه هول الموقف من طمأنينته، بل كان كلما تقدم خطوة، زاد ثباتاً وإيماناً، واستنارت بصيرته نفاذاً، حتى وصل إلى مُبتغاه واعتلى أرقى درجات الشهادة والتضحية، وحلق بروحه الخالدة في سماء الطهر، مخلفاً وراءه سمو الشهادة، وعطاء الحرية، وكرامة الإنسان.

وأصبحت ثورته مقياساً جديداً للثورات، لتنجب لمبادئ الإنسان معانياً أشمل، ودروساً أوثق، وعبراً أدق وأعمق، فتحول الفرد إلى إنسان الحرية، والجماعة إلى ثورة الأحرار، والموت إلى حياة الشهادة، والعطاء إلى بذل الروح.. معان لا حدود لعمقها، ومواقف لا نظير لها، وضياء صفحات لا سطوع لغيرها، عبرة مؤثرة، وذكرى خالدة، ونصر مؤزر، ورضوان من

الله. ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَّ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ (الأحزاب:٢٣)

ذلكم هو الإمام زيد بن علي، العالم العارف، الفارس الشجاع، والقائد المجاهد، والعابد الزاهد، الذي تعد حياته منهج حركة وكفاح، ودروس عمل وإصلاح، وتعتبر شخصيته نموذجاً لما يجب أن يكون عليه الرسالي، تلكم هي صورة الإصلاح والتفاني، والغيرة والإخلاص، وحب الخير للأمة، قد تمثلت في هذه الشخصية الفذة.

لقد سقط شهيداً من أجلنا نحن الأجيال؛ لأنه أراد أن تصلنا المفاهيم والقيم التي جاء الإسلام لترسيخها وهي خالية من الشوائب والتزييف.

والحمد لله رب العالمين، وصلى اللهّ على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.



من أهم المراجع والمصادر:

١. التحف شرح الزلف، للمولى العلامة السيد مجد الدين بن محمد المؤيدي.
٢. مسند الإمام زيد، للإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام/ تحقيق عبدالله حمود العزي.
٣. مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي ؛ تحقيق محمد يحيى سالم عزان.
٤. الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، لحميد بن أحمد المحلي، تحقيق الدكتور العلامة المرتضى بن زيد المحطوري.
٥. كتاب الزيدية، د. أحمد محمود صبحي، بيروت : دار النهضة العربية ،الطبعة الثالثة ١٤١١/ ١٩٩١.
٦. زيد بن علي الوزير، بحث بعنوان: الزيدية بين الإبداع والعوائق.
٧. الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، للإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني.
٨. كتاب زيد الشهيد للسيد عبدالرزاق المقرم.
٩. الإمام زيد شعلة في ليل الاستبداد، لمحمد يحيى سالم عزان/ دار الحكمة.
١٠. أبو الحسين زيد الشهيد، للسيد محسن الأمين/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام).

١١. زيد بن علي المفترى عليه لصالح أحمد الخطيب/ منشورات المكتبة الفيصلية/ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.
١٢. المصابيح في السيرة، لأبي العباس الحسني.
١٣. مقاتل الطالبيين، لعلي بن الحسين الأصفهاني/ تحقيق السيد أحمد صقر/ دار المعرفة ـ بيروت.



فهرس





والله لوددت أن يدي
ملصقة بالثريا ثم
أقع منها حيث أقع
فأتقطع قطعة قطعة
ويصلح الله بذلك
أمر أمة محمد

الإمام زيد بن علي

